التنشئة الاجتماعية للطفل من المنظور الإسلامي : - دراسة لبعض أساليبها وأهدافها العامة.-

فتيحـــــة هـــارون جامعة سطيف-2-

ملخص:

إذا كانت التنشئة الاجتماعية للطفل هي عبارة عن عملية اجتماعية يتم من خلالها دمج المعايير المجتمعية، يتعلم من خلالها الأنماط السلوكية التي تميز ثقافة مجتمعه عن غيرها من المجتمعات الأخرى، فهي الوسيلة التي يمكن من خلالها ضمان استمرار عادات وتقاليد مجتمعه الإسلامي بمختلف ضوابطه وخصائصه القيمية، فهي النموذج الذي يسعى لتحقيق أهدافه المثلى، باتباع مجموعة من الأساليب و السبل من أجل الحفاظ على كيانه الثقافي والحضاري، خاصة ونحن نعيش مرحلة من الاختراق الثقافي الرهيب. لذا ترمي محاولتنا هذه تلمس بعض أساليبها وتبيان بعض الأهداف التي ترسمها كنموذج متميز عن غيره من النماذج المجتمعية للتعرف على بعض ضوابطها تحقيقا لتوافقها الاجتماعي والحضاري الإنساني.

Résume:

la socialisation est un processus social par lequel on inculque aux enfants les normessociétales, leur apprendre le mode de comportements qui caractérisent la culture spécifique de la société a laquelle ils appartiennent.

De ce fait, la socialisation devient le moyen par lequel, la société musulmane assure pérennité persistance de ses coutumes et ses traditions et préserve le contrôle de ses propres valeurs. c'est donc un modèle qui cherche à atteindre ses objectifs idéaux, empruntant un ensemble de méthodes et moyens pour préserver son entité culturelle et civilisationnelle propre à elle. sachant que notre société musulmane fait face actuellement a un phénomène de déculturation importante

Nous essayons dans ce document d'illustrer quelques-unes des méthodes et des objectifs fixés par ce modèle distinct de socialisation et designer ses caractéristiques et fondements à partir desquels elle assure sa compatibilité sociale, civilisationnelle et humaine.

مقـــدمـــة:

إذا كانت التنشئة الاجتماعية، العملية التي يتم بواسطتها نقل القيم والعادات السلوكية والأخلاقية من الجيل الأول إلى أبناء الجيل الثاني؛ فان النسق الأسري يعد الوسط الاجتماعي الأول الذي تتم فيه هذه العملية؛ باعتبار أن هذا النسق يمثل الجماعة الأولية التي ينتمي إليها الطفل وأشدها تأثيرا في سلوكه. إذ في أحضانها يتلقى هذا الأخير طريقة إدراك الحياة وكيفية التفاعل والتوافق مع أبناء مجتمعه. وعن طريق عملية التنشئة هذه تشرف جماعة الأسرة على صياغة سلوك أبنائها، وصقل نماذج سلوكهم الصحيح، مما يحقق نموهم الاجتماعي ويساهم في تشكيل شخصياتهم بما يتوافق وقواعد سلوكها، والمشرب والمنبع الذي تتشرب منه ضوابطها، تحقيقا لعملية توافقها الاجتماعي والحضاري. غير أن هذه المشارب قد تختلف وفقا للنسق الثقافي، والديني الذي تدين به هذه الأسر".

ونحن في هذه الورقة إذ نحاول تسليط الضوء، على أحد هذه المشارب؛ وهو المشرب الإسلامي؛بهدف التعرف على أساليب معاملتها له، وطرق رعايتها له؛ للوقوف على بعض ملامحها وأهدافها العامة. على اعتبار أن كثيرا ما نتعمق في طلب تفاصيل عديدة حول منظورات مختلفة للتنشئة في المجتمعات الغربية، لكن غالبا ما نجهل أصول تنشئتنا نحن وكنه مصادرها؛ بل قد نزدريها حتى أحيانا. وعلى ذلك نأتي من خلال هذه الورقة لتسليط الضوء على بعض ملامحها هذه.

وحرصا منا على الالتزام بالتدقيق المفاهيمي ارتأينا أن نخصص جزءا من هذا العمل، للوقوف على بعض الدلالات الخاصة بالمفاهيم التي تم تناولها بهذه الورقة؛ وذلك تجاوزا لأي لبس يمكن أن يعتريها، ومن أهم هذه المفاهيم نورد مايلي:

أولا:– مفهوم التنشئة الاجتماعية:

أ– إذا كان التعريف اللغوي **لمدلول انشا"** يعني رباه و رفعه ،فانه في المعنى الاصطلاحي للمفهوم فهو مدلول يعرف التعدد [1]،باختلاف المنظّرين له من علماء التربية و علماء النفس الاجتماع،وعلم الأنثروبولوجيا (الإنسان)، وعلم الاجتماع،وهو المنظور الذي نورد في ضوئه التعريف التالي:

تعرف "سامية حسن السّعاتي التنشئة الاجتماعية: بأنها عملية إدماج الطفل في الإطار الثقافي العام عن طريق إدخال التراث الثقافي في تكوينه، وتوريثه إياه توريثا متعمدا.بتعليمه نماذج السلوك المختلفة في المجتمع الذي ينتسب إليه،وتدريبه على طرق التفكير السائدة فيه وغرس المعتقدات الشائعة في نفسه[2]. إذ تعتبر هذه المعتقدات بالمشارب التي ينهل منها هذا الأخير قيمه الموجهة لسلوكه.

ب: تعريف التنشئة الإسلامية:

يقصد بها هنا مجموعة المفاهيم التي ترتبط في إطار فكري واحد يستند إلى مبادئ القيم التي أتى بها الإسلام والتي ترسم عددا من الإجراءات، و الطرق العملية التي على الوالدين، والأبناء الأخذ بها وتنفيذها. مما يؤدي ذلك إلى أن يسلك هؤلاء سلوكا يتفق مع عقيدة الإسلام .

إن ما نقصده بالإسلام هنا، ليس فقط مجرد عقيدة وشريعة ،ولكن أيضا النظر إلى كونه أسلوبا للحياة الذي يقوم على مجموعة من القيم والأنظمة الاجتماعية القائمة بالمجتمع. بما فيها نظام الأسرة وما يرتبط بها من أساليب التنشئة الاجتماعية للأبناء بها. إذ أن من أهم جوانب الاهتمام التي خصها الإسلام في هذا النسق التربوي، هو العناية أولا بالأسرة وأسس بنائها، الذي يرتكز على الزواج؛ باعتباره **ميثاقا غليظا**. حيث جعل من العلاقة بينهما علاقة سكن ومودة، كأساس لإنجاب الذرية والأحفاد. والذي من خلاله تتكون الأسرة المسلمة.

***ثانيا:* الطفل والطفولة:**

أ-التعريف المفهومي للطفل والطفولة: إذا كان هذا المفهوم في نظر اللغة العربية يعني الولاية على الطفل لتربيته وتدبير شؤون حياته[3] .ففي المعنى الشائع للطفولة:فهي تعني فترة الحياة التي تبدأ من الميلاد وحتى بداية البلوغ أو الرشد أو الزواج وتختلف من ثقافة إلى أخرى.[4]: فهو بذلك كائن اجتماعي له خصائصه البيولوجية والاجتماعية والنفسية والروحية. والطفل بالمعنى الاصطلاحي: يطلق من وقت انفصال الولد من بطن أمه حتى البلوغ[5]

- من خلال هذا التعريف نرى أن فترة الطفولة تنحصر من الولادة حتى البلوغ.
- هي المدة التي بين المرحلة الجنينية حتى البلوغ :
- أو أنها:"المرحلة منذ الميلاد وحتى النضج الجنسي أو المراهقة"[6]

ب-التعريف الإجرائي للطفولة: تعتبر الطفولة أحد المراحل التي يمر بها الطفل من بين مختلف المراحل (البلوغ، الرشد) إحدى أهم هذه المراحل، والتي يبدأ من خلالها الطفل في تمثّل قيم مجتمعه منذ سنّه الأولى. ولما كان هذا الأخير، كائنا اجتماعيا له وميولا ته ورغباته وحاجات مادية لا متناهية، توجد إلى جانبها حاجات أخرى لا مادية وروحية معينة لعل أهمها، حاجته إلى النضج الروحي: باعتبار نشأة هذا الإنسان **مقدسة**. إذ يشكل الدين عبر أهم عناصره (أي الإيمان)،العنصر الأول المسؤول عن استكماله لإنسانيته.

***ثالثا:* تنشئة الأبناء و رعايتهم في الإسلام :**

لم يكن الصغار في شبه الجزيرة العربية يتمتعون بنصيب من طيب المعاملة و حسن الرعاية.بل لقد كانت عادة وأد الأطفال وخصوصا الإناث منهم،عادة منتشرة في القبائل الوثنية المختلفة[7]. فكان الآباء يدفنوهن أحياء دون شفقة أو رحمة. وبمقدم الإسلام بزغ فجر جديد للطفل العربي. فقد حرّم الإسلام وأد الأطفال وقتلهم.[8]وفقا لقوله تعالى: وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت " سورة التكوير : آية (08) .

و بناء على ذلك فإن للطفولة في الإسلام مكانتها و أهميتها. حيث جاء في تنزيله:(" ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين" سورة الفرقان:(الآية 74) وتتجلى مظاهر هذه الرعاية والاهتمام بالطفل في الإسلام فيما يلي :

1- *الاهتمام بالطفل قبل ميلاده* :

إن أولى مظاهر الاهتمام بالطفل تكون قبل ميلاده ومجيئه إلى الدنيا. بأن أمر الرجل عند الزواج حسن اختيار الشريكة الصالحة (المرأة الصالحة). أي المتخلقة بأخلاق الإسلام. كما أوصى في المقابل من ذلك بضرورة أن يتخير الأولياء لبناتهم الرجل الصالح. صاحب الدين والخلق الكريم . يكون أهلا لرعاية أسرته، رعاية كاملة، ويؤدي حقوق الزوجة والأبناء. كما يحرص هذا الدين من خلال ذلك ؛على توارث الصفات الجيدة عبر الأجيال المتعاقبة ؛ إدراكا منه للتفاعل والتكامل بين العوامل الوراثية، و الميزات البيئية في تكوين الشخصية الإسلامية. حيث يقول "ص" تخيروا لنطا فكم، فإن العرق دساس." في الوقت نفسه نهى - عن الزواج من القرينة القريبة، للحصول على طفل متباعدا النسب بين أبيه و أمه، حتى يكون أخصب عقلا – أقوى جسما وأرحب فكرا.[9]

2- *عناية الإسلام بالطفل أثناء فترة الحمل لدى الأم الحامل*:

يعتني الإسلام بالطفل صحيا، ونفسيا. إذ أوجب القرآن الكريم توفير الاستقرار للحامل حتى لا تكون عرضه للاضطراب والقلق، ولا يؤثر ذلك على الجنين. إذ جعل عدة المطلقة، الحامل أن تضع حملها. وأوجب الإنفاق عليها طول مدة الحمل. وذلك حفاظا على حقوقهن وحقوق أبنائهن، وضمانا لاستقرارهما. وإن كان الإسلام قد خص الطفل بالرعاية سواء قبل أن يولد أو أثناء الحمل. فلقد خصه برعاية مثلى بعد هذه المرحلة وهي مرحلة ما بعد الميلاد أو الولادة.

3- رعاية الطفل بعد الميلاد أو الولادة:

لقد خص المولى المرحلتين السابقتين من عمر الطفل بالعناية اللازمة لكونهما تلعبان دورا هاما في تكوين استعداداته بيولوجيا. فإن مرحلة ميلاده والوسط الذي يوضع فيه أي (الوسط الاجتماعي) لا يقل أهمية؛ لكونه الموجه الأساسي لمسار هذا النمو. لقوله –ص- ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ."

و قد حدد الإسلام لكل من الوالدين مسؤولياتهما في توفير البيئة الصالحة اجتماعيا, لتنشئته تنشئة اجتماعية سليمة .فأوصى بأن يحسن الوالدين اختيار اسم الطفل لما لذلك من تأثير عليه فيما بعد. وحسن استقباله سواء أكان ذكرا أم أنثى.[10]

وعموما يمكن الإشارة هنا إلى عدة جوانب تشملها عملية التنشئة في الإسلام. منها الجانب المتعلق بالتغذية و الرضاعة الطبيعية, -التربية و التعليم – الجانب الخاص باللعب وأهميته في حياة الطفل. وكلها جوانب متكاملة. وهي عبارة عن حقوق لم يتركها الإسلام لتتحكم فيها الالتزامات

الأخلاقية. وإنما نظمها الإسلام في شكل **أحكام ملزمة** ،توضح حقوق الأبناء منذ ولادتهم. سواء تعلق الأمر بنسبهم أو بتربيتهم الصحية والنفسية أو الاجتماعية.

أ-فيما يخص حق النسب:

لقد اقر الله سبحانه وتعالى حق النسب وذلك بأن يثبت نسب الأبناء لأبيهم من خلال أساليب عديدة. سواء تعلق الأمر بالزواج أو الإقرار أو البينة. عن طريق الإشهاد الذي يثبت النسب. [11].

ب-الحق في التغذية و الرضاعة الطبيعية في الإسلام:

لقد جاء اهتمام الإسلام بالتغذية والرضاعة للحفاظ على العقل والجسد وذلك من خلال التغذية السليمة منذ الولادة إلى أطوار الحياة المختلفة. إذ يدعو الله الإنسان إلى أن يأخذ حقه من التغذية أو الغذاء دون إفراط أو تفريط. و لقد وضع القرآن الكريم تنظيما لهذه العملية الطبيعية سواء كانت أما مرضعة، إذ أوجب على الأم إرضاع وليدها. فهو حق للطفل عل أمه باعتباره واجب ديني. والأم التي تمتنع عن ذلك مع قدرتها، تعتبر في نظر الإسلام آثمة. بالنظر لإمكانية الإضرار بالرضيع.

لكن في حالة ما إذا كانت الأم مطلقة، فعلى الأب أن يدفع لمطلقته أجرا نظير إرضاع الطفل. وعلى ذلك حث هذا الدين على حق الصغير في أن يعيش في كنف أبويه (حق حضانته) ليعيش حياة طبيعية بين والديه. وفي حالة انفصالهما يجب أن يظل الطفل غير بعيد عن أمه التي حملته وأرضعته؛ لأنها أقدر على تربيته والإشراف على تغذيته، وفقا للمسائل التالية:

1. إرضاعه من ثدي أمه منذ ميلاده. ينبغي أن يكون لبن الأم هو الغذاء الأساسي لحمايته من الأمراض و حتى تثبت أساسهم
2. العناية بالطفل في الشهور 3 الأولى و تدريجهم في الغذاء.
3. العناية بأمر أخلاقهم وتعليمهم ضبط النفس، وإبعادهم مما يمكن أن يؤثر على عقولهم من مسكرات وما شابهها.

إن ما يمكن ملاحظته من خلال ما تقدم من تعليمات تخص تغذية الطفل هو مدى اهتمام علماء الدين بضرورات هذه التغذية بالنسبة للطفل. ولقد أثبتت الدراسات والبحوث العلمية مدى أهمية الرضاعة الطبيعية بالنسبة لصحة كل من الطفل والأم، لما تحمله من عناصر المناعة المختلفة الموجودة في حليب الأم مقارنة بما تحمله الرضاعة الاصطناعية من مخاطر على صحة الوليد.

و منه نلحظ مدى العناية التي خصها الإسلام للطفل للحفاظ على سلامته وصحته ووقايته من الأمراض. وتأكيد دور الأم في الرعاية الصحية، والنفسية خاصة في مراحل الطفولة المبكرة. وكذا أهمية دور الأبوين في السهر على الأبناء ورعايتهم، ووجوب الإنفاق عليهم.خاصة من جانب الوالد.إذ من حق الأبناء إشباع حاجاتهم المختلفة حتى يكبر. لقوله –ص- "إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة."

جـــ- تنشئة الطفل الدينية و الأخلاقية في الإسلام :

لقد وجه الإسلام إلى الوالدين تعاليم تأمرهما بالعناية بالطفل وحثّهم على وجوب تعليمهم مبادئ الدين، والأخلاق. ومن حق الطفل كحقوق الأسرة المسلمة أن يرعاه والداه وأن يعلماه أركان الإسلام الخمسة:. إذ على رب الأسرة أن يعلم أفراد أسرته السلوك المقبول اجتماعيا ويجنبهم ما تحرمه تعاليم دينه. لقوله —ص- ".مروا أولادكم وهم في سبع سنين واضربوهم عليها وهم في عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع.[12]

فمن حق الطفلة الأنثى كما تم توضيحه في قول رسوله أن تنام بعيدا عن أشقائها الذكور، ابتداء من سن العاشرة؛ وذلك حماية للأنثى و الذكر والأطفال عموما من الانحراف، أو العبث الجنسي وتعويدا للأطفال على السلوك النقي منذ الصغر.

ومما تقدم يتضح بشكل جلي أن الإسلام يفرق بين طفل السبع، وطفل العاشرة حيث يصبح الطفل أكثر نضوجا، وأكثر قدرة على التمييز. ومعروف أن الطفل ووفقا لمفاهيم علم النفس الحديث يستمر في النضوج الجسمي والعقلي، والعاطفي والاجتماعي والخلقي حتى يصل إلى سن المراهقة والشباب. في هذا بيان لإدراك الإسلام لمبدأ سيكولوجي هام وهو مراعاة الفروق بين الأطفال. فما تطلبه من طفل العاشرة لا تطلبه من طفل السابعة.. ومن ثم لا يكلف الإنسان في الإطار الإسلامي بما تفوق قدراته واستعداداته .[13]

كما حث الإسلام الآباء أن يعلموا أبناءهم التمييز بين الحق والباطل، وأن يعلموهم مبادئ المساواة، والعدل.. وآداب الإسلام وأخلاقه في الاستئذان، واحترام الطفل ومعاملته باللطف، وعدم التقليل من شأنه.اعترافا بإنسانيته. ومن الشواهد على ذلك أن الرسول — ص- إذا مر على الصبيان سلم عليهم." [14] وهي خصال إسلامية ومبادئ تؤكدها المنظمات العالمية الحديثة التي تحمل الكثير من الشعارات الإنسانية .

د-حق الأبناء مجالسة الآباء و اللعب معهم:

لقد حث الإسلام على ضرورة أن يخص الوالدين وقتا لمجالسة أبنائهم والترويح عنهم، وإدخال السعادة إلى قلوبهم. إذ المداعبة واللعب خاصة في السنوات الأولى للطفل، من شأنها أن تعلمهم قيما تربوية، و اجتماعية، و أخلاقية، وإبداعية في ذات الوقت. ويعد هذا النوع من المعاملة إحدى جوانب التنشئة في الإسلام؛ لكونها تمثل إمكانية عظيمة لتنمية مدارك الأبناء عموما حيث جاء في حديث رسوله:" من دخل السوق واشترى تحفة فحملها إلى عياله،كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج.و يبدأ بالإناث قبل الذكور.[15]

وهو ما يتفق مع ما ذهبت إلى تأكيده الدراسات الحديثة ،عن أهمية اللعب بالنسبة للأطفال والمراهقين منهم؛ حيث يمثل **قيمة علاجية**. بحكم أن الأسس التي يقوم عليها هو الفضفضة،

والتطهير الانفعالي، وتفريغ الشحنات الانفعالية الحبيسة داخل الطفل. يتعلم من خلاله العديد من المهارات مما يساعده على التعلم، وفهم العالم المحيط به، ويساعده ذلك على تكوين علاقات اجتماعية عديدة مع بني جنسه وسنه أو من خارجها وهو في حد ذاته قيمة اجتماعية يكسبها الطفل من خلال هذه العملية. مما جعل عديد من الباحثين يؤكدون **سلامة هذا الأساس** الذي تقوم عليه التنشئة الإسلامية كنموذج.

هـــ-حق الأبناء في اكتساب العلم و المعارف الإنسانية:

كما حث الإسلام الوالدين على وجوب تعلم العلم. إذ بين الإسلام أهمية تعليم الأبناء في قوله تعالى: "اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم " سورة العلق الآية 1- 5 ".

وهو ما يشير بوضوح إلى أهمية العلم، ووجوب تعليم الأبناء. وأكد مسؤولية الآباء في ذلك. وعلى وجوب أن يمتد هذا التعليم ليشمل جميع المعارف الإنسانية وحمل الوالدين والمعلمين وعلماء الدين، مسؤولية التنشئة والتربية الاجتماعية للأولاد، عملا بقوله "ص" " أدبوا أولادكم وأحسنوا أدبهم ". وهي إشارة واضحة على وجوب إشراف الأبوين على تربية أبنائهم. لكن هذا الإشراف ليس معناه التسلط، والإكراه، والقهر وغيرها من الملامح التي اتصفت ولا تزال نسبيا تتصف بها التنشئة الأسرية العربية. وهو أسلوب لا يتطابق مع تعاليم الإسلام الذي تدين به كأمة أو شعوب.

لأن ما يهدف إليه الإسلام هو المراقبة والتوجيه والنصح. إذ أمر الإسلام بمشاركة الطفل في إبداء الرأي مهما كان هذا الرأي سخيفا أو ساذجا أو بسيطا. وتوضيح ما يشوب هذا الرأي من خطأ للطفل حتى يتعلم الطفل من أخطائه طريقة التفكير و النظر إلى الأمور ببصيرة.وبذلك يستفيد الطفل والأبناء عموما؛حينما يتعودون على إبداء الرأي فيما يتعلق بمشكلاتهم الخاصة أو مشكلات الأفراد الآخرين المحيطين بهم، أو مشكلات مجتمعهم هذا من ناحية ،

ومن ناحية أخرى، إن تبيان الخطأ في الرأي لديهم من شأنه أن يجعلهم يعيدوا صياغة آرائهم ويبلورونها بشكل أفضل. وبالتالي مساعدتهم على اتخاذ قرارات خاصة بشأنها. وعلى ذلك فإن اعتماد أسلوب الحوار والمناقشة، واللّين والترغيب والمدح أحيانا، وعدم اللجوء إلى الشدة والعقاب، إلا عند الضرورة القصوى ؛من شأنه أن يوفر جوا من الثقة بالنفس لدى الأبناء، كما يوفر جوا من الأمان واكتساب نوع من التفاؤل، والرضا والشعور بالاستقلال لدى الأبناء .

وهو ما يسمى في نظريات التربية الحديثة بالأسلوب الديموقراطي للتنشئة الذي من شانه أن يخلق جوا أسريا يكون فيه الأبناء أكثر توافقا وثقة بالنفس. والى جانب ما تقدم يؤكد هذا الدين من اجل تنشئة الأبناء التنشئة السليمة على وجوب توفر إحدى أسس التربية الإسلامية، والمتمثلة في ضرورة أن يكون الآباء، هم القدوة الحسنة في حياة أبناءهم؛ بحيث لا تكون معاملة الوالدين كلها

صرامة وتسلط. لقوله "ص" رحم الله والدا أعان ولده على بره"، أي أن يحسن معاملته، اي تربيته[16]. وأن لا يطلب منه إلا ما يطيق.

مما يبين أنه لا مجال للقسوة والعنف و التسلط في المنهج الإسلامي إلا في الحالات القصوى. إذ العنف لا يولد إلا العنف مثلما أكدته ،وتؤكده الدراسات الحديثة. خاصة وان العنف بنوعيه الرمزي، والجسدي يتم تعلمه كسلوك من المحيط الأسري المتسلط، ومن المحيط الاجتماعي عموما خاصة في الفترات الأولى من الحياة الاجتماعية للأبناء، وسن البلوغ؛ أي المراهقة وهي السن التي نصاحب فيها الأبناء ،ولا نمارس القهر والتسلط عليهم وفقا لتعاليم هذا الدين.

و على العموم يمكن تلخيص المعالم الرئيسية للتنشئة الاجتماعية في المنهج الإسلامي وفقا لما يؤكده الدكتور عبد الله علوان فيما يلي[17].

- تؤكد تعاليم هذا الدين وجوب تحميل الوالدين،و المعلمين، وعلماء الدين، مسؤولية التنشئة الاجتماعية للأبناء لترسيخ التربية الإيمانية لديهم .
- التحلي بالأخلاق السليمة: واتخاذ الرسول "ص" قدوة في العبادة و الكرم و التواضع. لقوله تعالى :" لقد كان لكم في رسول الله قدوة حسنة سورة الأحزاب الآية (21.)
- الاهتمام بالتربية الاجتماعية: التي تركز على القيم و الآداب الاجتماعية العامة.إذ يشكل البعد الاجتماعي في التنشئة الاجتماعية للأبناء ،أحد الأبعاد الأساسية المكونة لها؛ باعتبار أن التنشئة الاجتماعية في حد ذاتها تعتبر **عملية اجتماعية** بحتة، تقوم بها الجماعة العائلية وغيرها من الجماعات الاجتماعية الوسيطة الأخرى، كجماعات الرفاق، والمسجد، وغيرها من الجماعات المكونة لمؤسسات المجتمع عموما.

هذا والى جانب البعد الاجتماعي الذي ترتكز عليه التنشئة الإسلامية؛ تنهض هذه الأخيرة على بعد آخر لا يقل أهمية عن سابقه والمتمثل في بعدها السيكولوجي؛ باعتبار أن الأسرة في ضوء هذا المنظور: "عبارة عن جماعة أولية واتحاد لمجموعة من الشخصيات المتفاعلة تفاعلا مباشرا أو غير مباشر، والتي من شانها تلبية احتياجـــات أفرادهـــا الأساسية والعاطفيـــة، ممـــا يحقـــق استقـــرارهم السيكولوجـــي والاجتماعي[18].

إذ يلخص د/ حامد زهران- ود/ إجلال يسرى،أهمية الرعاية النفسية للأولاد في هدي القرآن والسنة النبوية الشريفة التي تتأكد ملامحها فيما يلي:

1. رعاية شخصية المسلم و تتمثل في:

ترسيخ الإيمان بالعمل الصالح: ويتضمن الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر، واليوم الآخر، والعمل الصالح، وطاعة الله ورسوله.

2. تأكيد الأحكام الشرعية: وتتضمن الأحكام الشرعية العامة والمحللات والمحرمات.

3.تقوية الصلة بالله وتتضمن: معرفة الله وإسلام الوجه له، وحبه، وخشيته، والاعتصام به، والتوكل عليه والاستعانة به.

4. تدعيم السمات الإيجابية للشخصية: وتتضمن التقوى والأخلاق، والعلم والأمانة...، والنظافة؛ لأنها تشكل جزء من الإيمان.

5.رعاية سلوك المسلم وتتمثل في تدعيم العلاقات الإنسانية: وخاصة بين الوالدين والأولاد، والأزواج، والأقارب والجيران.

6. تأكيد أساليب التفاعل الاجتماعي: وهي التحية والكلام الحسن واحترام الغير والعفو[19] وغيرها.

وإذا كان نموذج التنشئة الأسرية الإسلامي يراعي حقوق الأبناء ويحض عنها، ويضع مسؤولياتها على عاتق الوالدين، وهي مسؤولية سيسألون عنها. فإن حق الوالدين على الأبناء كان هو الآخر، جزء لا يتجزأ من الأدوار الواجب أن يتعلمها الأبناء في إطار عملية التنشئة التي يتلقونها داخل الأسرة وعلى الأبناء تأديتها تجاههم. حيث نصت النصوص القرآنية في العديد من آيات على وجوب الإحسان إليهما وطاعتهما.

إذ أن واجبات الأبناء تتردد بين البر والطاعة. فهما ثمرة تقدير الجهد العظيم والتعهد الطويل الذي حصل عليه الابن من أبويه.

أ.**بر بالوالدين**: البر الذي أوصى به الله تعالى له **صورتان**: مادية ومعنوية.

1- فمن صوره المادية: أن يتعهد الأبناء والديهما بالنفقة والرعاية إذا كانا في حاجة، وتلبية المطالب التي يحتاجونها. و قد قدر الإسلام هذا الجانب، فجعله من حقهما.

2-من صور البر المعنوي: ويتأكد هذا البر عند بلوغهما الكبر وسن الشيخوخة الذي يقتضي تقديرا واهتماما أكبر حيث جاء في قوله:" وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا. الإسراء الآية 23-24.

ب- الطاعة:

إن الطاعة تكون حسب السن، ففي الصغر ينبغي طاعتهما باعتبارها أعرف الناس بحاجاته وأكثرهما حنوا عليه. وأكثرهما قدرة على معرفة الأمور التي تؤذيه. ومن ثم تجب طاعتهما. بينما عند الكبر فيتوجب تقدير رأيهما واستشارتهما وطاعتهما بالمعروف؛ مما يدخل السرور إليهما؛ لأن إهمالهما وعدم طاعتهما يعد جحودا لهما . بينما لم يقر الإسلام مخالفتهما إلا في الشرك بالله.

إن هذا التواصل والبر بين جيل الأبناء والإباء من شأنه أن يجعل الأسرة المسلمة وحدة اجتماعية قوية من حيث تماسك العلاقات الأسرية، وتطابقها بين أعضاء الأسرة، كبارا كانوا، أم صغارا. وهو ما يجعلها علاقات قوية لما يحكمها من ضوابط عقائدية واجتماعية ونفسية سليمة، سواء كان ذلك بين الآباء والأبناء. أو بين الأبناء في تعاملهم مع الآباء. أو بين الأبناء في تعاملهم السوي مع

بعضهم البعض. وهو ما يحول دون تفككها واختلال روابطها ويسهم ذلك في بناء مجتمع مستقر اجتماعيا. وبناء على ما تقدم من معطيات يمكننا أن نجمل أساليب التنشئة الإسلامية كالآتي:

رابعا: أساليب التنشئة الإسلامية:

يقوم منهج التنشئة الإسلامية على أساليب متنوعة مثلما تقدم من شرح وذلك بحسب مناسبتها لتحقيق الغرض المطلوب منها. على أن هذه الأساليب تتكامل فيما بينها لتناسب كل المواقف وتتكيف حسب الأغراض و يمكن تلخيص هذه الأساليب كالآتي:

1- أسلوب القدوة الصالحة :

إن القدوة الصالحة أهمية بالغة في تربية الفرد من المراحل الأولى من حياته حتى فترة النضج والبلوغ إذ يكسب الطفل ألوانا مختلفة من السلوك من خلال تقليده ومحاكاته للآخرين. وهي بذلك تعتبر إحدى محددات السلوك الإنساني ومختلف عاداته الإسلامية،لما لها من أهمية في تنشئة الأجيال الإسلامية تنشئة سليمة،أسوة برسوله مما يحقق الاستقرار للفرد والمجتمع معا. خاصة وأنها تدعو المسلمين ليتخيروا لأنبائهم و أنفسهم القدوة الصالحة، والابتعاد عن مخالطة قرناء السوء؛ تجنبا للشر والمضرة. ويأتي الأبوان في المترل، والمعلمون في المؤسسات التربوية في المقدمة من حيث وجوب التحلي بالنماذج الصالحة من السلوك؛ لتسهيل عملية تسرب العادات الإسلامية السليمة لدى الناشئة منذ الصغر. فالتعلم في الصغر كالنقش على الحجر في المثل العربي.

باعتبار أن التعلم هو أولا وقبل كل شيء سلوك اجتماعي يمكّن الطفل أن يتمثل قيم جماعته لاسيما جماعته الأولية (الأسرة)، مما يتيح له كسب هويته الشخصية، ويمكنه أن يكون فردا مشابها، دون أن يكون فردا مطابقا لها. وهو ما ذهب إليه تالكوت بارسونز"[20] وأكدته نظريات علم النفس الحديث، وغيرها من نظريات التعلم الاجتماعي على اختلاف روادها. أمثال بنادورا وولتز، وولر، وماكوبي.وغيرهم. من نظروا للسلوك الاجتماعي ومدى تأثير البيئة الاجتماعية المحيطة به.[21]

غير أن مجتمعاتنا العربية الإسلامية أصبحت تعاني مثل بقية مؤسساتها الأخرى الكثير من صعوبات الأداء االتربوبي في تنشئة أبنائها، بسبب غياب هذه القدوة لحسنة الناجمة عن التناقض القائم والصارخ بين القول والفعل للوالدين وغيرهما ممن يحيط بالأسرة. وهو ما يكشف عن بروز الظواهر السلوكية المتناقضة، وهذا المبدأ الأساسي للتنشئة الإسلامية؛.نتيجة تأثرها بكثير من العوامل. وقد تأتي في مقدمتها وسائل الإعلام باعتبارها آلية من آليات العولمة. لتساهم في هشاشة ثقافتنا و تراجع الكثير من قيمها الأصيلة.إذ حينما تفقد الجماعات والمجتمعات معالمها العقائدية و المذهبية، يفقدون معنى الولاء وتتعرض شبكة العلاقات الاجتماعية إلى التمزق، فيسهل بعد ذلك جرهم إلى أي مأزق ودفعهم إليه(1).(مراد زعيمي، الثقافة والعولمة بين التكيف والتفاعل. في مؤلف الجزائر والعولمة، منشورات جامعة منتو ري، قسنطينة. 2001-ص-127).

2- أسلوب الثواب والعقاب:

يعتبر أسلوب الثواب والعقاب من الأساليب التي تستند إليها التربية في مجتمعات كثيرة على الرغم من اختلافها.

فالتنشئة الإسلامية تستخدم أسلوب الثواب والعقاب، لما له من أهمية بالغة في التنشئة السليمة للأبناء. ولقد تجلى هذا المبدأ في أسلوب القرآن الكريم في تصوير الجنة ونعيمها، والنار بأهوالها وعذابها. فهو أسلوب مثلما يراه المتخصصون في الشؤون التربوية يتناسب وطبيعة الإنسان التي تسعى دائما وراء المنفعة، وتبتعد عن المضرة. ولذلك يصبح الجزاء من جنس العمل. وإذا كان الله يدعو في كتابه أن يكون استخدام العقاب بعد أن تكون الأساليب الأخرى من نصح وهداية، وإرشاد قد عجزت عن أن تحقق المطلوب. ومنه يقضي أن أسلوب التربية الإسلامية يتجه أكثر نحو أسلوب الترغيب والثواب بصورة أكبر وهو القائل: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن"(سورة النحل:125).

3-أسلوب المناقشة و الحوار :

لقد كان هذا الأسلوب من أهم أساليب الرسول "ص" في توجيه المسلمين وتعليمهم تعاليم أمور دينهم و دنياهم. و هي طريق تدفع بهم للمشاركة بالأسئلة والاستماع، والفهم، والتساؤل عما لا يدركوا من حقائق. وبذلك لم يكونوا مجرد متعلمين سلبيين، أو مصدقين فقط دون الفهم والإدراك العقلي. إذ كان أكثرهم استعمالا للطريقة الحوارية مع أصحابه، ومع خصوم الإسلام؛ نظرا لما لهذه الطريقة من دور في تقوية الحجة، والتمرن على سرعة التعبير والمناقشة[22]. وإدراك الصواب والخطأ. وهو أسلوب يلح في التربية الإسلامية على ضرورة تعريف التنشئة **بالأساس العقلاني والمنطقي** لأي قضية مطروحة، وإدراك ارتباط هذه الأخيرة بواقعهم الفردي والإجماعي. وتتيح لهم بذلك الفرصة للمناقشة الجادة البناءة. ومنه الوصول إلى عملية الإقناع .

4-أسلوب الممارسة العملية:

يعد هذا الأسلوب من أهم الأساليب التي تهتم بها التربية الإسلامية. وليس أدل على ذلك من أن التكاليف الإسلامية كلها والمبادئ الرئيسية من إقامة للصلاة، والزكاة، والحج، وصوم؛ إنما تتطلب ممارسة وأسلوبا عمليا من جانب الإنسان. إذ يؤكد هذا الدين على ضرورة أن يتطابق سلوك المسلم الحق مع ما في ضميره وقلبه. أن النبي "ص" **إذا قال فعل**. ويعلمنا بذلك **منهجا تربويا** أساسيا وهو أن يتمثل المربي دائما ما يقول وما يعلّم.

5-أسلوب الشورى :

وتعني طلب الرأي واستظهاره من الغير مهما كان نوعه، امرأة أو رجل : قال تعالى:" وأمرهم شورى بينهم." وهو يدل على أنها أي الشورى أصل إسلامي من السنة النبوية حيث يقول أبو هريرة: ما رأيت أحدا أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله "ص".

6-أسلوب التعاون :

من المؤكد أن حياة أي جماعة من الجماعات لا تقوم إلا بتعاون أفرادها.. فالإسلام يوجب الأولياء تدريب الأبناء على التعاون فيما بينهم، وتحمل بعض المسؤوليات و تقسيم العمل. ليعلم كل عضو مسؤولياته تجاه الآخرين، و تجاه نفسه. و منه معرفة حقوقه، وحقوق غيره؛ كي لا يتعدى عليها . لذا يفرض الإسلام وجوب التعاون بين أفراد الأسرة و المجتمع الواحد؛ تحقيقا للعدل، والمساواة و التواصي بالحق. و قرر أن يكون كل ذلك في إطار يحقق مسؤولية الجماعة عن الفرد، ومسؤولية الفرد عن الجماعة [23]. وهو عكس ما تنشده التربية في المجتمعين الأمريكي والمجتمع الروسي كنموذجين للتنشئة. إذ تغالي الأولى في تمجيد الفرد وحريته، في حين تركز التربية بالمجتمع الروسي على تمجيد الجماعة على حساب حقوق الفرد وحريته خاصة في مرحلة توجهها الاشتراكي.

خامسا: أهداف التنشئة الأسرية في المجتمع الإسلامي:

نشير كما سيأتي أن للتنشئة الاجتماعية الأسرية عموما أهداف متنوعة و ذلك باختلاف المجتمعات والإيديولوجيات، والأفكار التي تنطلق منها باعتبار أنها الوسيلة الأولى التي يستخدمها المجتمع ليشكل أفراده اجتماعيا، ولذا كانت الوسيلة الأولى التي يستخدمها المجتمع لإحداث أي تغير اجتماعي. خاصة وأنها تعنى بتشكل الإنسان من حيث هو إنسان وكذا تحقيق تكيفه بالمجتمع الذي يقيم فيه.

وعلى العموم يذهب عدد كبير من العلماء المهتمين بأهداف التربية والتنشئة الاجتماعية الإسلامية إلى حصرها فيما يلي:

- أنها لم تكن ذات أهداف دنيوية؛ وإنما كان غرضها دينيا ودنيويا إنها ترمي إلى إعداد النشء لعملي الدنيا والآخرة[24].

التثقيف العقلي والإعداد الفيزيولوجي .

2- تنمية القوى والاستعدادات الخاصة للطفل باعتبار أن الإسلام دين الفطرة.لذا ترى تعاليمه ليست غريبة عن الطبيعة الإنسانية؛ بل هي فطرة الله التي فطر الناس عليها. وأن حاجات الإنسان محققة بمصالحه. وتكمن مهمة المربي في تقوية فطرة المولود أي استعداداته الطبيعية و تجنيبها الانحراف عن براءتها واستقامتها.

3- الاهتمام بقوى النشئ وحسن تربيته أيا كان نوعه أو جنسه ذكرا أو أنثى.

4- العمل على توازن جميع القوى و الاستعدادات الإنسانية [25].

ولهذا نلاحظ ومن منظور سوسيولوجيا التربية، أن التنشئة الإسلامية ذات أبعاد متكاملة لا تنفصل إحداها عن الأخرى.فهي تهدف عموما إلى الجمع بين تأديب النفس والروح، وتثقيف العقل وتقوية الجسم. وهي بذلك تعنى بالتربية الدينية والخلقية والعلمية، والجسمية. دون أن تمهل أي منها. إذ تركز تنشئة الأبناء على معرفة الدين وحسن الخلق، وعدم الإهمال في إقامة الشعائر الدينية. وإقامة الروابط الأخوية والعلاقات بين الفرد وبقية الأفراد. واحترام الناس وأعمالهم.

وهي بهذا تهدف إلى ترسيخ كثير من القيم في النفوس؛ باعتبارها عنصرا مهما في تركيب البناء الاجتماعي، والشخصية معا كما أنها عنصرا منظما للعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الإسلامي [26].

تلك القيم التي يتم استدماجها عن طريق التفاعل الاجتماعي. إذ تعتبر عملية تعلمها أساسا لعملية التنشئة الاجتماعية الإسلامية. هذا مع الإشارة إلى أن أحد أهداف التربية الإسلامية في الأسرة هو تحقيق عملية الضبط الاجتماعي لأفرادها عن طريق تعلم الأبناء أنماطا من السلوكات الضابطة وجعلها التزاما محببا يقوم به الفرد عن طواعية دون إجبار. ويجازى عليه في الدنيا والآخرة.

ولقد وضعت التنشئة الإسلامية لاجل ذلك مجموعة من الضوابط التي تحكم العلاقات بين أفراد الأسرة لتنظيم مجتمع الأسرة ، لكونها الأساس الذي تقوم عليه تربية الأبناء. إذ في ضوئه حددت العلاقات بين أفراد الأسرة وتم تنظيم الحقوق والواجبات لكل عضو فيها جملة وتفصيلا. وبذلك جاء التأكيد من خلال كل ما تقدم، على وجوب أن يكون تكوين الأسرة على المنهج الإسلامي الذي رسمه كتاب الله وسنة نبيه؛ لضمان استقرارها الاجتماعي والنفسي. وضمان بالتالي رسالتها الأساسية في تربية الأبناء، بالاعتماد على القيم الإسلامية، ومبادئ الدين. إذ وضّح الإسلام جملة من الضوابط المتعلقة بتربية الأبناء حيث نظم جوانبها المختلفة ووضع ضوابطها؛ تحقيقا للمجتمع الإسلامي المتماسك.

وبناء على ما تقدم من تلخيص لبعض أسس تنشئة الأبناء وفقا لما نصت عليه تعاليم القران وسنة نبيه محمد(ص)؛ باعتبارهما تشكلان المصدر الأول المحدد للملامح الأساسية العامة، والدقيقة للتنشئة الاجتماعية الأسرية ،خاصة في المجتمع الإسلامي؛فانه لا يفوتنا هنا أن ندرج إحدى المصادر التي لا تقل أهميته عن الأولى، والمتمثلة في مآثر صحابي الرسول(ص) وبعض ممارستهم الاجتماعية والدينية والأخلاقية لتناول بعدها التربوي في بناء القرد المسلم. وهو ما سنخصه بالبحث فيما يلي:

سادسا: الجوانب التربوية في أقوال الصحابة و أفعالهم :

إذا كان الرسول "ص"،هو المعلم الأول والأكبر للمسلمين .فلا بد أن يكون للصحابة رضوان الله عليهم قوتهم التربوية فان *أبا بكر الصديق* يعتبر أشبه الناس خلقا بالنبي (ص)، ومن ثم كان أقرب الناس إلى رسوله؛ إذ كان شديد التخلق بأخلاق الإسلام، لما كان يتمتع به من صور الأدب سواء

مع النبي ("ص") أو أدبه مع نفسه. لذلك.، فهو من أرسى بفعله المبدأ الإسلامي العظيم " الشورى؛ لارتباطها العضوي بالتربية البناءة[27] .

بينما كان الصحابي *عمر بن الخطاب القدوة الحسنة لما كان عليه من حرص شديد في تطبيق تعاليم الإسلام.هذا الأخير كان* شغله الشاغل، هو كيف يمكن أن يجعل من فعله وقوله وسلوكه، نموذجا للإنسان المسلم. وأن أعلى الناس مركزا هو أولهم *امتثالا* لتعاليم الله وسنة رسوله. فقد حاول أن يبين للناس أن تصور الإسلام لبناء الشخصية ليس **مثاليا**، يصعب تطبيقه. وإنما هو قابل للتطبيق. في الوقت الذي أدرك أن قوة الإنسان المسلم تكمن في حرية رأيه ولو كان هذا الرأي قاسيا عليه. و لم ير الخليفة عمر بن الخطاب يوما ضيرا في أن تبصّره في الصواب امرأة.

وكان يقول عن علي:" أن عليّا كان أقضانا، ولولا علّي لهلك عمر".

لقد كان علي بن أبي طالب[28]، هو الآخر صاحب منهاج ضخم ودستور دقيق في الأمور التربوية. فحق عليه أن يكون معلم أجيال في التربية الخلقية، والروحية والاجتماعية.

وكان يمثل شعارا حيا من شعارات التربية الإسلامية؛ لما اتصف به من عدل وإنصاف. إذ كان يختلي بأبنائه ليلقنهم إرشاداته، وأحكامه. إنما أراد أن يكون بذلك؛ مثالا في التربية العائلية.[29]

كما لا يفوتنا الإشارة هنا إلى جانب الصحابيين سابقي الذكر، على سبيل المثال وليس الحصر. ما كان لعائشة بنت أبي بكر من مركز تربوي ملحوظ، لكونها كانت أم المؤمنين وزوجة النّبي ومبعوثته الأولى إلى النساء. لقد نهضت بأمانة التبليغ والتعليم و لم تتكتم عن الأشياء التي تسأل عنها، وكان لها اطلاع واسع على كل ما له اتصال بقواعد الدين وأصول التطهير وشروط العبادة وغيرها. فتميز أسلوبها بذلك في التعليم بالأسلوب التربوي.

سابعا: إسهامات بعض علماء المسلمين في التنشئة الاجتماعية والأسرية:تلخيص لبعض لنماذج:

يمكن تلخيص بعض الآراء التربوية لبعض علماء الإسلام حول التنشئة الاجتماعية الأسرية والتطبيع الاجتماعي كنماذج؛ للتعرف من خلالها على بعض إسهاماتهم في هذا المجال تحديدا.

أ – الإمام الغزالي :

1- أكد هذا الأخير أن الله قد خلق الإنسان على الفطرة وأن البيئة التي يعيش فيها هذا الأخير، والثقافة التي يتأثر بها ويتفاعل معها, هي التي تشكل شخصية.

2.نفي أن يكون الشر مركب في النفوس.* وأكد أن الثقافة و البيئة لها الأثر الأكبر في تكوين شخصيته. وأن الشخصية الإنسانية مكتسبة وليست مورثة [30].فهي تبدأ بالأسرة[31]. فالطفل أمانة في عنق والديه.وهي تمتد إلى غيرها من مؤسسات المجتمع من مسجد..

3. أكد مسؤولية الأبوين في تنشئة الأبناء وكذا المعلمين واعتبرهما بمثابة القدوة.

وعلى العموم يمكننا تلخيص طبيعة التنشئة الاجتماعية حسب تعريفه لها كالآتي:

1.إنها الطريق إلى رياضة الصبيان في أول نشوئهم و وجه تأديبهم و تحسين أخلاقهم

2.العملية التي يتم من خلالها تشجيع الأطفال على ممارسة الخلق الجميل والتمتع بالعقل المحمود.

3. إيمانا منه بقابلية أخلاقه وسلوكه للتعديل: يؤكد بإشارته إلى أن كل كائن حي يمكن أن يتغير خلقه؛ حتى أن البهائم يمكن تعديل خلقها من الاستيحاش إلى الاستئناس.

4. مع مراعاة طبيعة الصبي بحكم أن الصبية ليسوا سواء. ويلح على ضرورة التدرج في تعليمه.

ب- آراء العلامة عبد الرحمان ابن خلدون في التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعي[32]:

يعرّف ابن خلدون التنشئة الاجتماعية: "بأنها عملية بواسطتها يستطيع الأفراد اكتساب معارفهم وأخلاقهم. وما يتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة.

-تتأثر التنشئة برأي ابن خلدون بمجموعة من العوامل أهمها:

1- **الأسرة:** حيث يكتسب الفرد منها العادات وأنماط السلوك الأخرى من الوالدين.وإذا وجدنا الأبناء يتشبهون بإبائهم فما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم.

2- والعامل الثاني في تنشئتهم هم المعلمون والشيوخ وكباري السن فهم من الجماعات المهمة في عملية التنشئة الاجتماعية.

واعتبر ابن خلدون تعلم اللغة عاملا آخر من العوامل المهمة في التنشئة. فاللّغة في حد ذاتها مهمة لأنها تمكن الفرد من التعبير عن مشاعره وان أبدى الإنسان رغبة في التعلم فان هذه العملية تتم بدون صعوبات[33].

أ - إيثار التدرج حيث يقول:"اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين؛ إنما يكون مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا، وفقا لعقله و استعداده لقبول ما يرد إليه.

ب- مراعاة الفروق الفردية —الفروق الخاصة بالفرد الواحد— وفقا لخصائص نموه. وهو يتفق مع ما تذهب إليه نظريات علماء النفس التربوي الحديثة، وعلم النفس الفارقي.

ج- كما أشار إلى الترهيب والترغيب: **إذ أكد على أهمية الاستعانة بهما كأسلوبين تربويين في تنشئة الأبناء .على أن لا يتم استخدام الأسلوب الثاني إلا في الحالات القصوى.إذ يقول أن إلحاق الحد بالمتعلم قصر بالتعلم سيما في أصاغر الولد؛ لأنه من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين، سطا به القهر..وعلمه المكر والخديعة.**

ووفقا لما تقدم فقد اتفق ابن خلدون مع نظريات التعلم الحديثة ،و نظريات الشخصية وعلم النفس الفارق. وربط بين علم النفس الاجتماعي والصحة النفسية.

وعلى ذلك فغاية التربية الإسلامية إذا في تنشئة الأبناء، ليست مجرد إقامة الشعائر فقط ؛بل هي منهج تربوي متكامل لتنشئة الفرد المسلم على أسس دينية ودنيوية متكاملة.

خلاصة واستنتاجات عامة :

إن المتأمل لجملة هذه المعالم الأساسية للتنشئة الاجتماعية عموما والأسرية خصوصا في الإسلام، يدرك أنه دين حضاري يحترم كرامة الإنسان*، ويرعى آدميته أيا كان عمره طفلا كان، أم راشدا، كبيرا قويا أو ضعيفا ،فقيرا كان أم غنيا. ومهما اختلف موقعه في السلم الاجتماعي؛ مادام الناس سواسية. حيث يلاحظ من خلال ما تقدم أن الإسلام يهتم بالإنسان منذ ولادته؛ بل وقبل ذلك من حيث صيانة الأسرة ووضع دعائمها القوية، بكفالة حقوق كل من الزوج و الزوجة، اللذين تجمعهما ألفة كأساس لبناء الأسرة. فأكد على ضرورة رعاية الطفل بما في ذلك اليتيم وملاطفته، والإحسان إلى أفرادها بما فيها البنات والنساء، والتواضع في معاملاتهم و خفض الجناح لهم.

فهذا النظام الاجتماعي الإسلامي للتنشئة والمتضمن في الشريعة المنظمة لشؤون الإنسان و إشباع حاجاته ،يجمع في الحقيقة بين المثالية والواقعية التي وجدت مجالها للتطبيق العملي خلال فترة دولة المدينة وعصر الرسول "ص" وعصر الخلفاء الراشدين من بعده، وخلال عصور الإسلام المزدهرة.34 وفي الوقت الذي ظلت فيه النظم الوضعية متناقضة، ومتصارعة،. اتجه نظام التنشئة الأسرية والاجتماعية في الإسلام ليجمع بين الطابع الفردي والاجتماعي معا. وهما النموذجان اللذان عكستهما التنشئة الأسرية بشكل متطرف في كل من المجتمع الأمريكي والمجتمع الروسي كنموذجين معاصرين والتي لا يمكن التفصيل فيهما في هذه الورقة.لضيق المجال هنا ** إذ تركز التنشئة الإسلامية على تنشئة الفرد على الفضيلة وتحمل المسؤولية؛ لما وهبه من إمكانية التمييز بين الخير والشر. ولكن هذا لا يعني التطرف في الفردية المطلقة. فالإسلام ينشئ الفرد ليعيش في مجتمع يكفل الإخاء و التكافل بحيث يكون " كالبنيان يشد بعضه بعضا ". وأكد الإسلام أهمية الأسرة في التنشئة والحفاظ على الفطرة ،لما تتضمنه من قدوة حسنة ومحيط اجتماعي سليم وهو بناء على كل ما تقدم دينا وسطيا.

إننا نشير في الأخير إلى أن محاولتنا تناول بعض معالم التنشئة الاجتماعية في الإسلام ليس غرضه الكشف عن بعض تراثه أو بعض معالم هذه العقيدة بتحيز معين للموضوع؛ إنما هدفنا هو البحث بموضوعية وأسلوب علمي عن بعض الملامح العامة لهذا النموذج للتربية والتنشئة الاجتماعية الإسلامية التي وبناء على ما تقدم من جهد متواضع في تناولها يمكننا أن نجمل القول على أنها أولا: تربية تكاملية وشمولية؛ لكونها تهتم بجمع جوانب الشخصية الإنسانية مثلما بينا ذلك باختصار. وثانيا؛ إنها تربية متدرجة، تراعي مبدأ التدرج في تعلم الأبناء وتعليمهم، وهو مبدأ أساسي في التربية الحديثة.ثالثا: وهي في الأخير، تربية ممتدة مدى الحياة. تستغرق جميع المراحل العمرية لدى الكائن الإنساني من المهد إلى اللحد؛ فالتنشئة الاجتماعية في حد ذاتها مثلما أكدنا ذلك سابقا؛ هي عبارة عن عملية تعلم لأنها تتضمن تغييرا أو تعديلا مستمرا في سلوك الأبناء والأفراد عموما، نتيجة تعرضهم وباستمرار لخبرات وممارسات مختلفة عبر مؤسسات مختلفة، ومتعددة تستخدم كل منها أساليب ووسائل محددة في تحقيق هذا التعلم؛ سواء أكان ذلك بشكل مقصود أو غير مقصود.

الهوامش

[1]- منجد الطلاب:فؤاد عزام البستاني –دار المشرق.ش.م.بيروت –لبنان ص793.

[2] - سامية حسن الساعاتي :الثقافة والشخصية –بيروت–دار النهضة العربية للطباعة والنشر 1983 ص (224)

[3]- أميرة منصور يوسف علي: قضايا السكان الأسرة والطفولة، الكتاب الجامعي الحديث، الإسكندرية سنة1995 ص 138

[4]-محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية سنة 1997 ص 55.

[5]- المرجع السابق: أميرة منصور يوسف علي، ص138.

[6]- المرجع نفسه ص 139.

[7]- د/ عبد الفتاح تركي: التنشئة الاجتماعية. منظور إسلامي المكتب العلمي للنشر والتوزيع ص (63).

[8]- عبد الفتاح تركي المرجع نفسه ص157

[9]- معتز سيد عبد الله – عبد اللطيف محمد خليفة – علم النفس الاجتماعي –دار الطباعة للنشر- ص (242) تعتبر كلمة التربية بمفهومها الاصطلاحي من الكلمات الحديثة التي ظهرت في السنوات الأخيرة مرتبطة بحركة التجديد التربوي في البلاد العربية في الربع الثاني من القرن 20. لذلك لا نجد لها استخداما في المصادر العلمية القديمة إذ أن ما كانت تستخدمه هذه المصادر هي كلمات مثل (التعليم) (التأديب) و(التهذيب) وهي مرتبطة بالتربية كما نفهما اليوم أوثق ارتباط وقد وردت كلمة التربية عند ابن خلدون بمعنى التنشئة في كتابه في المقدمة عند مراتب الملك والسلطان والألقاب ص (235) المقدمة وفي موقع آخر سنأتي لذكره لاحقا.

[10]- معتز سيد عبد الله :علم لنفس الاجتماع مرجع سابق ص 243

[11] - نبيل السامولوطي: بناء المجتمع الإسلامي: دراسة في علم الاجتماع الإسلامي دار الشروق العربية السعودية – 1981 ص (87)

[12]- الإمام النووي : محيي الدين أبي زكرياء يحيى بن شرف ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين وكالة المطبوعات. الكويت 1970 ص 116

[13]- عبد الرحمان عيسوي , سيكولوجية المراهق المسلم المعاصر. دار الوثائق, الكويت 1987 ص 9

[14]- محمد عبد المحسن التويجري: الأسرة والتنشئة الاجتماعية في المجتمع العربي السعودي مرجع سابق ص112.

[15]- عبد اللطيف محمد خليفة. دراسات في علم النفس الاجتماعي. غريب للطباعة والنشر –القاهرة ص (31)

[16] - د/محمد عبد المحسن التويجري : الأسرة و التنشئة الاجتماعية في المجتمع العربي السعودي ص(152)

[17] - د/حامد عبد السلام زهران . علم النفس الاجتماعي. عالم الكتب .القاهرة 2000 م ص (335-336)

[18] - Aurele st-yves- la famille sa réalité psychologique -les éditions la liberté aout 1983.

[19] - حمد عبد السلام زهران .علم النفس الاجتماعي .عالم الكتب القاهرة 2000.ص 335-336.

[20] -Claude dubar : la socialisation : construction des identités sociales et professionnels 3éme revue. Armond colin- paris 2002 / page 58-59.

[21]- باتريسيا مللر –نظريات النمو. ترجمة محمود عوض الله سالم وآخرون –دار الفكر 2005 ص346ط1.

[22] – عبد الفتاح تركي موسى : التنشئة الاجتماعية من مطور إسلامي مرجع سبق ذكره ص (170-171)

[23] – محمد سلامة محمد : مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث ط[1] الإسكندرية – المكتب الجامعي الحديث 1986ص 241-245 في مؤلف التنشئة الاجتماعية بتطور إسلامي (ص 181).

[24] – عبد الله عبد الدائم التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين دار العلم بيروت لبنان ط1 1981 ص 142

[25]– عبد الجواد سيد: مفاهيم التربية الإسلامية في الحديث الشريف –القاهرة– دار الفكر العربي 1983 – ص 178 - 172

[26] – تركي عبد الفتاح التنشئة الاجتماعية من منظور إسلامي نفس المرجع ص 135 يتصرف كبير.

[27] – سعيد إسماعيل علي: أصول التربية الإسلامية, دار الفكر العربي, القاهرة –مصر1993 (114-125)

[28] – سعيد إسماعيل: أصول التربية الإسلامية: المرجع ص (126-141)

[29] – سعد إسماعيل علي: المرجع نفسه ص (142-156)

*–إذا القرآن لا ينظر إلى الطبيعة الإنسانية على أنها شريرة في أصلها ولا على أنها فاسدة فسادا عضالا؛ بل على العكس من ذلك فالإنسان مفطور على الخير وقادر على تمثله مثلما جاء في قوله تعالى " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم " و لم يهلك من الناس بعد هذا إلا القوم الجاحدين. ودليل ذلك قوله تعالى" ثم رددناه أسفل السافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وقوله "الذين لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم عيون لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل أظل أولئك هم الغافلون ". سورة الأعراف الآية 179)

أنظر مؤلف د/ فتح الباب عبد الحليم سيد . التربية في القرآن والسنة ، الغايات و الأهداف. الطبعة الأولى 1996 عالم الكتب (ص 61) .

[30]–سيد إبراهيم الجيار. دراسات في الفكر التربوي – دار غريب – القاهرة د س. ص (132 –133)

[31]– سيد إبراهيم الجيار. دراسات في الفكر مرجع نفسه دون سنة الطبع ص (132 –133)

[32] – حسن الجبالي، المرجع نفسه صفحة (233) يتصرف طفيف .

يقول ابن خلدون أن الاستعانة إذا كانت من أولي القربى من أهل النسب أو التربية أو الاصطناع القديم للدولة كانت أكمل لما يقع في ذلك من مجانسة خلقهم لخلقه. وتتم المشكلة في الاستعانة قال تعالى : "واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري" والمقصود هنا بالتربية، معناها القوي الذي "يتصرف في التنشئة ". من مؤلف منير مرسي التربة، أصولها و تطورها في البلاد العربية مرجع سبق ذكره. ص250

[33]– عبد الله زاهي الرشدان: التربية والتنشئة الاجتماعية دار وائل/ ص40

[34] – نبيل الساملوطي مرجع سبق ذكره ص (8,132) يتصرف.

* إذ غالبا ما كان في الثقافات المغايرة للإسلام يعرف الإنسان" بأنه حيوان ناطق" أو "عاقل" أو "مفكر" أو ما إلى ذلك من العبارات التي حاولت وصف الإنسان بالحيوان أول ما جاء على لسان أرسطو. ومثل هذا الوصف بعيد عن الفكر الإسلامي وتعاليمه والمصدران الأساسيان للإسلام لم يصفا الإنسان بهذا الوصف؛ بل كرماه غاية التكريم وجعلاه أفضل مخلوق على وجه الأرض حيث جعله الله خليفته في الأرض. والإنسانية ضد الحيوانية. لذا لا يجب أن نعتبر الإنسان من صنف الحيوان .

** – ولمزيد من التفصيل في هذه النقطة انظر: مؤلف سعيد فرح , البناء الاجتماعي والشخصية.